صانعي السياسة ووسائط الاعلام السوفياتية. فمنذ نيسان (ابريل) ١٩٧٥، وحتى مطلع العام ١٩٧٦، كانت هذه الحرب، في المنظار السوفياتي، «حرباً واضحة المعالم تشنّها قوات يمينية، بمساندة الرجعية العربية واسرائيل والولايات المتحدة الاميركية، على حركة المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية ونصيرتهما سوريا». وقد عبّر مقال أُصدر في صحيفة «برافدا»، في نيسان (ابريل) ١٩٧٦، بامضاء «مراقب» عن الموقف السوفياتي شبه الرسمي من الازمة اللبنانية، انتهج كاتبه النهج المألوف الذي يلقي اللوم على «نشاطات القوى الامبريالية والرجعية الداخلية» بالنسبة الى ما يجرى من احداث على الساحة اللبنانية. وربط هذا الامر، بصورة تلقائية، بمناورات الاسطول الاميركي السادس في مياه البحر الابيض المتوسط، وبتهديدات اسرائيل وتحرشاتها، وكذلك بالمحاولات المبذولة من جانب «جميع اولئك الفرقاء وأنصارهم من الرجعية العربية من أجل إلهاء العرب عن صراعهم مع اسرائيل». وبعد ان أشاد المقال بـ «الوساطة السورية»، وبوقف اطلاق النار الذي حققته واصفاً اياه بأنه «تطور جديد وايجابي»، وبأنه «أمر لا يسعنا الّا ان نرحّب به»، أكد على أهمية انهاء الازمة بالطرق السلمية على أساس وحدة لبنان ووحدة كيانه[٦٩].

وبالطبع، فقد أثار هذا المقال، الاهتمام لا بسبب ما ذكره فحسب، بل، أيضاً بسبب ما لم يأت على ذكره؛ اذ انه اغفل، تماماً، أي ذكر للفلسطينيين، مع العلم بأن اشارة كانت وردت قبل ذلك في صحيفة «برافدا» في شباط (فبراير) ١٩٧٦، في ما يتعلّق بدور منظمة التحرير الفلسطينية. حيث كتبت الصحيفة ان المنظمة «تلعب دوراً ايجابياً في تطوير عملية العودة الى الحياة العادية» في لبنان. وكانت صحيفة «ازفستيا» استعملت عبارات مماثلة في مقال سابق عن لبنان. ولم يأت مقال «مراقب»، أيضاً، على أي ذكر للحركة الوطنية اللبنانية وبرنامجها الاصلاحي، وتجاهل التناقضات المتزايدة بين الفلسطينيين وحلفائهم في الحركة الوطنية اللبنانية من جهة، وسوريا من جهة أخرى. وعلى العموم، فقد كان صانعو السياسة السوفياتية على علم أكيد بهذه الخلافات، وكانوا محرجين بسببها، كما يتضح من تفحص التعليقات السوفياتية التي خلت، كلها، تقريباً، من أية اشارة الى ذكر الموضوع الحسّاس،وهو موضوع العلاقات السورية ـ الفلسطينية التي كانت تتدهور باستمرار[٧٠].

وجليّ، ان أطرافاً لبنانية أدركت ان منظمة التحرير الفلسطينية باتت تعاني بعض الضعف، بسبب التوجهات الانعزالية لمصر، وبسبب التغيّرات السلوكية الناتجة عن المال النفطي، وان الفرصة سانحة لضرب الثورة الفلسطينية واخراج الفلسطينيين من لبنان[٧١]. وفي ظل غياب تحالفات عربية تمنع تردّي الازمة اللبنانية، تدخلت سوريا، في الرابع من حزيران (يونيو) ١٩٧٦، عسكرياً، في محاولة لاحتكار السيطرة على القرار الفلسطيني[٧٢]. ورجّح أحد المتابعين الموقف السوفياتي، في ذلك الوقت، إما ان الكرملين أساء فهم نيّات السوريين تماماً، وإما انه كان عاجزاً، كلياً، أمام اصرار دمشق على الاستمرار في تدخلها في لبنان حتى لو أدّى ذلك الى مواجهة مع القوات المشتركة. وهكذا، فلقد بدا السوفيات، وخصوصاً في أثناء وجود رئيس الوزراء السوفياتي، الكسي كوسيغن في دمشق، وكأنهم يقبلون، ضمناً، التحرّك السوري ويتقبلون نتائج هذا التحرّك، أيضاً[٧٣]. وغني عن البيان، هنا، ان موسكو كانت تقدّر موقع سوريا المركزي في هذا المضمار؛ وهي تعلم، بالتالي، ان مصلحتها لا تقتضي، أبداً، مواجهة سوريا، حينما تكون مصالحهما متعارضة، وإن كان يتعذر فهم مثل هذا السلوك.

لقد علّق أحد صانعي القرار الفلسطيني على هذا التناقض، بقوله ان الاتحاد السوفياتي «لم يفهم، في البداية، طبيعة الحرب الاهلية [اللبنانية] فهماً جيداً، وحسبها حرباً طائفية. وبالرغم من توضيحاتنا [المقاومة الفلسطينية] وتوضيحات الشيوعيين اللبنانيين المتواصلة، الّا ان السوفيات